أدب المنفلوطي

بقلم السيد جورج سلستي

كتبت على أثر الحملة الطائشة التي قام بها بعض الأدباء على المنفلوطي وأدبه بمناسبة ذكراه الثالثة عشرة

أحق ما يقولون من أن صاحب « النظرات » (ليس بالكاتب ولا الأديب) ، وأنه صنم من أصنام الأدب (يجب علينا تحطيمه وطرحه) ، وأنه خلو حتى (من ناحيةٍ واحدة خليقة بالتحليل ووجهٍ واحدٍ جدير بالدرس) ؟ !

أتكون نفثاته الشائقة نفاية (لا قيمة لها ولا وزن) ، وكتاباته الممتعة (مزيفة جوفاء) ، وأدبه الرائع (سقيماً هزيلاً) ؟!

أيبلغ الحقوق في هذا الجيل حدَّه الأقصى فيتهجم الأبناء على آبائهم والتلاميذ على أساتذتهم ولا يعترفون لهم حتى بالتشفيف ولا يقرون لهم بفضل ولا شبه فضل ؟ !

أكلما طلع كاتب جديد كان القدح أول كلماته ، والنقد الجارح أول نفثاته ، وكان الهدم نصيب نابغة من نوابغ الأدب العالي وقطب من أقطاب الفن الرفيع ؟ !

أحتم على الأديب الناشيء أن يتخذ النقد المرّ وسيلةً لبلوغ ما يصبو إليه من مكانة ، والتهكم اللاذع سبيلا إلى ما يطمح اليه من مقام ، كأن لا نهج إلا هذا النهج ، وكأن الانتاج ليس من مزايا التفوق والنبوغ ؟ !

إننا نكبر الجرأة — والجرأة من مزايا الأديب — ولكن عندما تكون محدودة ، مكبوتة النزوات ، مكبوحة الأهواء ؛ لأن الجرأة المطلقة تهوّر وجنون .

وإننا نجلّ النقد — والنقد عماد الأدب الصحيح — ولكن عندما يكون نزيها لا تحامل فيه ولا طعن .

نود أن يكون الناقد فذّاً في أدبه فذّاً في رجولته لأننا نرباً به أن يكون طفيلياً يعيش على فتات سواه ، لا ، بل نرباً بكل من يمت إلى الأدب بصلة أو سبب أن يبنى مجده على تقويض زعامة غيره وهدم بنيان سواه .

ليس المنفلوطي بالأديب الكامل ، فالأديب الكامل لم يخلقه الله بعد ؛ ولا هو سيد الكتاب ولا إمام المنشئين ولا أمير الشعراء ولكنه من سادة الكتاب ومن أئمة المنشئين ومن الشعراء المجيدين ، فعلام الانكار ؟ !

وليس المنفلوطي من الروائيين الأفذاذ ولا القصاصين النوابغ ولكنه من خيرة من نقلوا الرواية الأعجمية إلى لغة الضاد وممن كتبوا في القصة فبلغوا فيها شأواً ؛ فعلام التضليل ؟ !

إن في أدب المنفلوطي مآخذ ، ما في ذلك ريب ، ولكن ما ضعف أقله لا ينبذ جله . وعلى الناقد الحصيف ألا يجسم الأخطاء ويتعامى عن مواضع السموّ والجمال .

يقولون إن المنفلوطي لم يكن يهمه من الانشاء غير الأسلوب وفي هذا القول غلوٌّ كثير .

فهو على افتتانه بالظهر كان يولي «الجوهر» اهتمامه وعنايته ؛ إلا أن روعة أسلوبه طغت على سواها فظهر أدبه أقرب إلى السطحية منه إلى العمق .

والتقمر لم يكن من شأنه فقد كان يلقي بآرائه في سلاسة ووضوح في ألفاظ جزلة ناعمة ، فأتت ديباجته وضاءة مشرقة تغمرها العذوبة ويفيض عليها السحر . أيكون ساحر البيان سقيم الأدب هزيله ، وتكون السلاسة جُرْماً والعذوبة إثماً ؟ !

ويقولون إن الجيد في لغة جيدٌ في كل لغة ، وإن المنفلوطي إذا نُقِلَ إلى لغة أعجمية تعرّى من بهرجه وظهر ما في أدبه من ضعف .

وهذا قول فيه نظر . فليس لقطعة من الأدب الانكليزي جلالها ذاته لدى نقلها إلى الفرنسية مثلا ، ذلك لأن لكل لغة سحرها الخاص في الأداء والتعبير لا سيما في الشعر والأدب .

وإنك عبثاً تستطيع بالغاً ما بلغت من قدرة أن تنقل شكسبير بسحره وفتنته إلى لغة أخرى ؛ وما ذلك إلا لأنه كان — وهو المتضلع من لغته البصير بدقائقها وأسرارها — على عنايته

كرة شديد العناية بالأسلوب . ذلك الأسلوب الذى يفقد روعته بالنقل .

لندع شكسبير ولنتخذ أحد الكتاب المعاصرين مثالا . لن بول فاليرى هذا المثال .

فهذه « مقبرته البحرية » تكاد تكون أحجية ، وهي نسية معجزة فى السبك ، وما أحسب أن أحداً يأنس فى نفسه درة على نقلها إلى لغة أخرى ويظل محتفظاً بقوتها وروعتها سيلتين ، وليجرب نفسه من يشك فى القول أو من يرتاب فى ه .

فتلاؤم الألفاظ فى كل لغة له جرسه الخاص ووقعه الخاص ، يكون له مثل وقعه ومثل جرسه فى النقل والترجمة .

ويقولون إن المنفلوطي لم يصوّر إلا ناحية واحدة من نواحى اة هى البؤس ، وإنه لم يوفق حتى في هذه الناحية .

وهذا قول مردود ، فقد اشتهر المنفلوطى بمقالاته أكثر منه اياته ، وهذه « نظراته » فى أجزائها الثلاثة طافحة بكل طريف؛ عالج فيها جميعاً من فنون الأدب وشؤون الحياة الشيء الكثير

وهب أنه لم يكتب فى الاجتماعيات ولا فى الشعر ولا فى النقد دبى ، وأنه وقف قلمه السيال على المأساة دون الملهاة ، وعلى تصوير س دون السعادة ، فهل يلام الحزين إن لم يفتر ثغره بالبسمات ؟ ل تلحى الكئيب إذا لم تعرف مقلتاه إلا الدموع وإذا لم تفض سه إلا بما تشعر به ، ويجيش به صدره المجهود ؟ !

ثم من ذا الذي كتب فى البؤس فبلغ مدى المنفلوطى فيه ؟ ن هو الكاتب العربى الذى حرك بنفثات قلمه مكامن الأشواق ز مختلف الأحاسيس وتلاعب بالعواطف وأجرى الشؤون من يون كما حركها وأثارها وأجراها مصطفى لطفي المنفلوطى ؟ !

ويقولون إن التكلف احتل كتاباته كلها وإن قلمه كان يجرى لم تكن تشعر به نفسه . وفى هذا القول ما فيه من هراء

فلقد قال فيه عارفوه والذين لازموه فى حياته إنه لم يكتب لا عن فيض شعوره وحسه ، وإن كتاباته صور حقيقية نفسه ، وإن أدبه وكرم خلقه وما تحلى به شخصه من مزايا وصفات إنما هى رسائله وكتبه لا تنقص ولا تزيد ؛ أما أسلوبه فخال من التكلف وتكاد كلماته الطيعة تسيل رقة وعذوبة

والمنفلوطي إلي هذا كله شاعر مجيد وله قصائد رائعة لا تعيبها إلا قلتها . وهو فى شعره شأنه فى نثره متخير اللفظ متين السبك ، لطيف المعانى بارع الوصف ، وله فى الوجديات غرر وفى الحكم آيات

. . . . وبعد فحسب المنفلوطى فضلا على الأدب العربي أنه انتقل به فى مستهل النهضة من الجفاف إلى الايراق والايناع ، وإنه حبب جمهور المتأدبين في الانشاء الرفيع وأساغ له الاستمتاع بالسلاسة وتذوق العذوبة فيه . وحسبه فخراً أنه نسيج وحده فى عصره لم يجاره فى فخر بيانه منشيء فى جيله

ومن كان له فى الأدب خدمات مصطفى وفضل مصطفى ، فلن يضير مجده تهجم المتهجمين ولن ينال من مكانته تشدق المتشدقين

على أنه يؤلمنا والله ألا توزن الأقوال وألا تقدر الرجال

« بيروت » مبروك سلمى

فى أصول الأدب

للأستاذ احمد حسن الزيات

كتاب جديد فريد فى نوعه . يشتمل على أبحاث تحليلية طريفة فى الأدب العربى وتاريخه . منها تاريخ الأدب وحظ العرب منه . العوامل المؤثرة فى الأدب . أثر الحضارة العربية فى العلم والعالم . تاريخ حياة ألف ليلة وليلة وهو أوفى بحث كتب فى هذا الموضوع إلى اليوم . ثم قواعد تفصيلية للرواية التمثيلية الخ الخ . . .

يطلب من إدارة مجلة الرسالة وثمنه ١٢ ص